
معالم منهجية
أهل السنة والجماعة
الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي أنموذجا
دراسة عقدية
أ. د. علي بن عبد العزيز الشبل
الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

مَعالمُ منهجيِّة أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالف
الشيخُ عبد الرحمن ابنُ سعدي أُنموذجًا
دراسةٌ عقديةٌ

كتبها

علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



المقدمة

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، ونعوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [سورة النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠ . ٧١]

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ كَلامُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَة.

فهذه كلمات أعان الله عليها ووفق لها في معالم منهجية أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالف من خلال أنموذج الشيخ العلامة الفقيه الأصولي المحقق عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي (١٣٠٧ . ١٣٧٦هـ)، حيث يمثل ـ الأُنموذج ـ المعاصر للعالم المحقق من علماء أهل السنة والجماعة، والذي هو امتداد لمنهجهم، ولاسيما مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ثم في كوكبة علماء الدعوة رحم الله الجميع .

هذا وقد رتبته على ثمانية مباحث، هي كالتالي:

المبحث الأول: المنهج العلمي مع المخالف، من خلال ثمانية معالم.

المبحث الثاني: منهج الإنصاف في الرد على المخالف.

المبحث الثالث: زهد الشيخ ابن سعدي بالمناصب والولايات، وأثره.

المبحث الرابع: منهج الإنصاف عند الشيخ ابن سعدي مع الكافر والظالم.

المبحث الخامس: الرد على الملحدين من المسلمين.

المبحث السادس: أنموذج في رد الشيخ ابن سعدي على المعتزلة والمتكلمين.

المبحث السابع: في رفق الشيخ ابن سعدي بالمخالف له من أهل العلم.

المبحث الثامن: في كشف شبهة شدِّ الشيخ ابن سعدي السفر لزيارة قبر ابن تيمية في دمشق.



هذا ولم أتعرض لترجمة العلامة ابن سعدي قصدًا؛ لكونها مشهورة، ومكتوب فيها تآليف مفردة، وإنما اكتفيت بالتنويه ببعض المواقف التي نعلمها، ورويتها عن مصادرها من أبناء الشيخ السعدي وطلابه ممن عاصرناهم من شيوخنا، وأخذنا عنهم مما يحقق مقاصد البحث ومضامينه.

هذا وما كان من توفيق وحق وإصابة في هذه الكلمات فمن توفيق الله وحده، وعونه وهدايته، وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، ونعوذ بالله منه.

وأقول ابتداءً إن هذا الموضوع بمنهجيته وتطبيقه وذيوله وأطرافه يحتاج إلى بسط وتحرير...يقصر عنه مثلي، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والله المسئول أن يقبلها عنده في الصالحات، ويحقق بها الزلفى لديه في المرضيات، وتكون سببًا لنفع المسلمين، وتصحيح مسالكهم، وهو سبحانه ولي التوفيق، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وعلى كل حال، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المبحث الأول
المنهج العلمي مع المخالف

إن الاختلافات من السنن التي أجراها الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [سورة هود: ١١٨، ١١٩].

هذا والاختلاف نوعان:

١ ـ **نوعٌ محرمٌ مذمومٌ، وهو اختلاف التفرق في الدين،** الذي وقع به أهل الملل والفرق المنحرفة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣١ ـ ٣٢]، **وقاعدته: هو كل اختلاف أو مخالفة للحق!**

٢ ـ **والنوع الآخر اختلاف سائغٌ مشروع، وهو اختلاف أهل الحق فيما يسوغ فيه الخلاف في المسائل والاجتهادات،** وأصحابُه مأجورون على كلّ حالٍ بأجرين أو بواحد، كما في الصحيح: «**إذا اجتهد الحاكم فأخطأ، كان له أجر، وإذا اجتهد فأصاب، كان له أجران**»[١].

ثم إن هذا الخلاف السائغ هو جُلُّه في خلاف التَّنوع، حيث تتنوع الأقوال والاجتهادات ولا تتعارض، كاختلاف السلف في تفسير آي القرآن، مثلًا.

هذا وأهم أسباب الخلاف السائغ الواقع بين أهل السنة والجماعة تدور على الآتي إجمالًا:

١ ـ أن لا يكون في الموضوع نصٌّ من كتاب أو سنة.

٢ ـ أو ورد نصٌّ شرعي، لكنه محتمل الدلالة.

٣ ـ أو أن العلماء اختلفوا في ثبوت النصّ الشرعي، ومن ثَمَّ في احتمالاته.

٤ ـ أو التعارض الظاهر ـ لا الحقيقي ـ بين الأدلة.

٥ ـ أو الاختلاف في مناحي الاستدلال: أصوليًا أو لغويًا أو فهمًا.

هذا ولما كان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ من أئمة أهل السنة والجماعة، وما زالت كتاباته نبراساً

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦).



لأهل الإصلاح، ولأهل العلم تقعيدًا وتفريعًا.

حيث خالف وخالفه عديدٌ من أهل عصره في المسائل، مما يسوغ فيه الخلاف ومما لا يسوغ، حتى تمادى بعضُ مخالفيه فبدَّعوه وكفَّروه وطالبوا بقتله، وباشر بعضهم الضرب، وسعوا في سجنه، فسجن ست مرات حتى مات في سجنه صابراً محتسباً.

ومع ذلك كان الشيخُ متميزاً في تعامله مع مخالفيه، وكان مثالاً يقتدي به أهل العلم بعده، وهذا امتداد المدرسة السلفية المعاصرة، والتي من أعيانها الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي (١٣٧٦هـ)، وعليه تدور رحى أدلة الشرع الحنيف ومواقف علمائه من لدن السلف الصالح إلى من بعدهم من أهل التحقيق والعدل والإنصاف.

وأختصر معالم المنهج الشرعي في التعامل مع المخالفين بأصلين جليلين عظيمين:

١- بيان الحق.

٢- ورحمة الخلق.

وهذه إشارة إلى بعض هذه المعالم:

١ـ تحري القسط:

وهذا الأصل العظيم والقانون الإلهي: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [سورة المائدة: ٨] تجده حاضراً في مواقف محققي علماء المسلمين وتعاملهم مع الخصوم، ولو تجاوزوا حدَّ الله فيه بالظلم والبهتان.

قال ابن تيمية: «فأهل السنة يستعملون معهم ـ أي المخالفين ـ العدل والإنصاف، ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقاً»[(١)].

وقال في «مجموع الفتاوى»: «هذا وأنا في سعة صَدْرٍ لمن يخالفني، فإنه وإن تعدَّى حدود الله فيّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكماً فيما اختلفوا فيه... »أ. هـ[(٢)].

ولما صنّف كتاباً في الاستغاثة ردَّ عليه مخالفه فكفَّره وضلله وشتمه، ومع ذلك لم يقابله بالمثل، بل

---

(١) منهاج السنة (١٥٧/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤٥/٣).



قال كما في «الرد على الإخنائي»: « وهذا الموضع يغلط فيه هذا المعترض وأمثاله، ليس الغلط فيه من خصائصه، ونحن نعدل فيه ونقصد قول الحق والعدل فيه، كما أمر الله تعالى؛ فإنه أمر بالقسط على أعدائنا الكفار، فقال ﷻ: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [سورة المائدة: ٨]. فكيف بإخواننا المسلمين، والمسلمون إخوة، والله يغفر له ويسدّده ويوفقه وسائر إخواننا المسلمين»[١].

وهذا المعلم ظاهر جدًا في منهجيه الشيخ ابن سعدي مع غيره، ولاسيما المخالفين، كما يأتي ـ إن شاء الله ـ تطبيقًا عنه من خلال مواقفه!

٢ ـ منهج جمع الكلمة وتحقيق الائتلاف:

فهؤلاء أهل السنة والجماعة أحرص الناس على اجتماع الأمة وائتلافها وتحقيق هذا الأصل العظيم والمقصد الأسمى من مقاصد الشريعة في الاجتماع والائتلاف ونبذ النزاع.

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى»: « والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين وطلبا لاتفاق كلمتهم واتباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة، وبينتُ لهم أن الأشعري كان من أجلِّ المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد ـ ونحوه، المنتصرين لطريقه، كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه» أ. هـ[٢].

وفي المناظرة في العقيدة الواسطية لما اجتمع مع العلماء والقضاة بدأ ابن تيمية الكلام، وذكر أن الله أمر بالجماعة والائتلاف ونهانا عن الفرقة والاختلاف، ثم قال بأسلوب قوي كما في «الفتاوى»: « وربنا واحد، وكتابنا واحد، ونبينا واحد، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين وهو متفق عليه بين السلف، فإن وافق الجماعة فالحمد لله، وإلا فمن خالفني بعد ذلك كشفت له الأسرار وهتكت الأستار، وبينت المذاهب الفاسدة، التي أفسدت الملل والدول، وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس، فإنَّ للسلم كلاماً وللحرب كلاماً». أ. هـ[٣].

(١) الرد على الإخنائي ص: ٩٢.
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٧)
(٣) (١٨٢/٣).



وأرسل ابن تيمية رسالة إلى إخوانه وأصحابه بدمشق، يحثهم فيها على اجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين، ومما قاله فيها كما في «مجموع الفتاوى»: «وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [سورة الأنفال: ١]، ويقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة»[١].

وفي موقف الشيخ ابن سعدي لما وشى به أحدهم، فكان أن عذره بقصده الخير، جمعًا للكلمة وتحقيقًا للائتلاف.

كذلك كان في ترك الشيخ ابن سعدي الإفتاء في مسائل الخصومات، والتي مجالها القضاء تحقيقٌ لهذا الأصل، وعدم الافتيات على أهله، وبعدًا عن مخالفة ما عليه العمل القضائي ... كما ظهر جليًا في مراسلاته العديدة للشيخ ناصر العبري، ضمن رسائله في مجموع مؤلفاته رحمه الله[٢] .

٣ـ طلب الحق وبيانه وأتباعه:

بيانُ الحق وردّ الباطل حقٌ على جميع الأمة، والعلماء هم ورثة الأنبياء، والباطلُ مردودٌ حتى لو قال به عالمٌ من الراسخين، أو وليٌّ من الصالحين، فحقُّ الشريعة وجنابُها مقدَّمٌ على الخلق، مع الاعتذار والاحترام للمخطئ من العلماء، هذا هو الأصل العام المطرد في هذه الباب.

أما أهل البدع فيجب ردُّ باطلهم مع بيان حالهم، وخاصةً إذا كانوا من الداعين لبدعهم.

وقد تجلَّى هذا المنهج في كتب شيخ الإسلام ورسائله وفتاويه.

قال في «مجموع الفتاوى»: «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإنَّ بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل... » أ. هـ[٣].

(١) مجموع الفتاوى (٥١/٢٨).

(٢) مجموع مؤلفات ابن سعدي (٢٨٣/٢٠ وما بعدها)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١).

وقال في «منهاج السنة النبوية»: « وكذلك بيان أهل العلم لمن غلط في رواية عن النبي ﷺ أو تعمّد الكذب عليه، أو على من ينقل عنه العلم، وكذلك بيان من غلط في رأي رآه في أمر الدين من المسائل العلمية والعملية ؛ فهذا إذا تكَّلم فيه الإنسان بعلم وعدل، وقصد النصيحة، فالله تعالى يثيبه على ذلك، لا سيما إذا كان المتكلم فيه داعياً إلى بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع الطريق». أ. هـ(١).

ومن أمثلته عند الشيخ ابن سعدي موقفه من القول المنسوب لابن القيم . في شفاء العليل حول مسألة فناء النار لما حكى القولين، فقد نقل شيخنا ابن عثيمين عن شيخه: " عجبًا لابن القيم أن ينصر هذا القول الضعيف... ولكن لكل جواد كبوة... "، مع إجلاله الكبير لابن القيم، وقد أيَّد شيخنا ابن عثيمين هذا التعجب، واعتباره من الكبوات(٢).

أيضًا وهذا ظاهر عند الشيخ ابن سعدي، ومثاله في رسالته لتلميذه الشيخ ابن عقيل في تشغيب الشيخ السويح عليه في مسألة التفصيل في الحكم على أهل البدع من كلام ابن تيمية وابن القيم(٣).

٤ . حب الخير للمسلمين:

وهم بذلك محققين حديث النبي ﷺ: «لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»(٤).

وقال أيضا في« مجموع الفتاوى»: « وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي»(٥).

وقال في رسالة كتبها شيخ الإسلام وهو في السجن إلى تلاميذه ومحبيه، يتحدث عن خصومه الذين تسببوا في دخوله السجن، وكانوا سبباً في مصادرة كتبه، قال في«مجموع الفتاوى»: « أنا أحب لهم أن ينالوا من اللذة والسرور والنعيم ما تقر به أعينهم، وأن يفتح لهم من معرفة الله وطاعته الجهاد في سبيله ما يصلون به إلى أعلى الدرجات»(٦).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٤٦).

(٢) شرح عمدة الأحكام- كتاب الطهارة-شريط (٢).

(٣) انظر: الرسائل ص٦٠ من مجموع مؤلفات ابن سعدي.

(٤) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨ /٥٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٤١/٢٨).

وقال ابن القيم عن ابن تيمية في «مدارج السالكين»: «كان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم»[١].

بل حبه للخير لم يختص بالمسلمين بل تعداه الى جميع الناس ولو كانوا من الكافرين، فقد قال في رسالة وجهها للملك النصراني (سرجون) حاكم قبرص: «نحن قوم نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة»[٢].

وشواهده عند الشيخ ابن سعدي رحمه الله كثيرةٌ: في أقواله وفي أحواله.

٥ . إعذار المخالف ومراعاة مقاصدهم عند التعامل معهم والحكم عليهم:

وأهل السنة والجماعة أوسع الخلق عذرًا لأعيان المخالفين لهم، فهم أهل العذر مع الأعيان، وكان من منهجهم إذا ذكر المناهجَ أصَّلوا، وإذا ذكر الأعيان فصَّلوا، فمثلًا هذا شيخ اسلام يأتي على المناهج الباطلة فينسفها نسفاً بالحجج النقلية والعقلية البرهانية، ولما يأتي إلى الأشخاص الذين يلتزمون هذه المناهج يفصل في حالهم، فمنهم الزنديق المعاند الذي لا يعذر، ومنهم المجتهد المعذور.

وشيخ الإسلام ـ يبين دقة بعض العلم وخفائه على كثير من هؤلاء مما يجعلهم يقعون في الغلط، قال رحمه الله: «وأكثر الطالبين للعلم والدين، ليس لهم قصد من غير الحق المبين، لكن كثرتْ في هذا الباب الشبه والمقالات، واستولت على القلوب أنواع الضلالات، حتى صار القول الذي لا يشك من أوتي العلم والإيمان، أنه مخالف للقرآن والبرهان، بل لا يشك في أنه كفر بما جاء به الرسول من رب العالمين، قد جهله كثير من أعيان الفضلاء، فظنوا أنه من محض العلم والإيمان، بل لا يشكون في أنه مقتضى صريح العقل والعيان، ولا يظنون أنه مخالف لقواطع البرهان، ولهذا كنت أقول لأكابرهم: لو وافقتكم على ما تقولونه لكنت كافرًا مريدًا ـ لعلمي بأن هذا كفر مبين ـ وأنتم لا تكفرون لأنكم من أهل الجهل بحقائق الدين، ولهذا كان السلف والأئمة يكفرون الجهمية في الإطلاق والتعميم، وأما المعين منهم فقد يدعون له ويستغفرون له، لكونه غير عالم بالصراط المستقيم»[٣] أ. هـ.

وفي هذا إعذار الشيخ ابن سعدي لمخالفة الشيخ السويح رحمه الله أن قصده الحق، فلم ولم يتهمه أو

(١) مدارج السالكين (٢/٣٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٦١٥).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٩).

يسيء ظنه فيه لما قال: «... لأن الظاهر أنه _ إن شاء الله _ مهوب كله هوى، لأني ما أعرفه ولا يعرفني، ولا جرى بيني وبينه قبل هذا أدنى مكاتبة"[1].

٦ . عدم التكفير بغير حق للمخالف:

إن المنهج العلمي للتكفير واضحٌ بيّنٌ، لدى العلماء حيث أوضحوا قواعد التكفير وضوابطه وشروطه وموانعه، من خلال أدلة الشرع المطهر، غير المنضبطة، بل بالهوى والجهل، كما عليه أهل البدع، مما هو ظاهرٌ جدا عندهم ، والله المستعان.

ولذا فإنَّ التكفيرَ حكمٌ شرعيٌ لا يخضع للأهواء وردود الأفعال.

قال شيخُ الإسلام في «الرد على البكري»: «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله»[2].

وهذا شيخ الإسلام ﷺ أنموذجًا-كما هو شيخ لأهل السنة والجماعة بعده، والشيخ ابن سعدي معظم له جدًا حتى سار على منهجه- فكان شديد التحذير من تكفير الأعيان وأن ينسب مسلمٌ إلى كفر من غير حجة ودليل بيّن، حيث قال في «مجموع الفتاوى»: «هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا عُلم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العلمية»[3].

وكان يحذر الجهال أن يتورطوا في هذا الباب الخطير، ويعتبر ذلك من أعظم المنكرات، قال في «مجموع الفتاوى»: «فإنَّ تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين لما يعتقدون أنهم اخطئوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله، وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفر ولا يفسق بل ولا

(١) الرسائل ٦١ ضمن مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي.
(٢) الرد على البكري (٢/ ٤٩٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).



يأثم»[1].

واعتبر بما قاله الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، نقلاً عن زاهر السرخسي أنه قال: «لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد عليّ أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، لأنَّ الكلَّ يشيرون إلى معبودٍ واحدٍ، وإنما هذا كله اختلاف العبارات».

قلت . أي الذهبي .: وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي ﷺ: «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم»[2].

شروط وموانع تكفير المُعيّن:

هذا وشروط تكفير المعيَّن وموانعه باختصار، هي:

١ . العلم، ومانعه الجهل.

٢ . الاختيار، وضده الإكراه.

٣ . القصد، وضده الخطأ، وفيه التأويل.

٤ . التكليف، وضده عدمه كالجنون والصغر.

٧ . لين الجانب وسعة الصدر:

ومما اتصف به علماء أهل السنة والجماعة لين الخطاب مع المخالفين، وإن أغلظ المخالف عليهم بالقول، مراعين قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [سورة الإسراء: ٥٣]، يتقون الله فيهم، وإن عصى المخالفُ اللهَ في أهل السنة والجماعة.

وذلك لأن الغرض هو بيان الحق، وإزالة الشبهة، ينبهون إلى أن مقامات الخطاب للمخالف تختلف فلها أحوال: فقد تنفع المخاطبة بالتي هي أحسن وقد لا تنفع، ولذا يقول شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»: «ما ذكرتم من لين الكلام والمخاطبة بالتي هي أحسن، فأنتم تعلمون أني من أكثر الناس استعمالاً لهذا، لكن كل شيء في موضعه حسن، وحيث أمر الله ورسوله بالإغلاظ على المتكلم

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٠٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/٨٨).





لبغيه وعدوانه على الكتاب والسنة، فنحن مأمورون بمقابلته، لم نكن مأمورين أن نخاطبه بالتي هي أحسن»[١].

وسيأتي من هذا طرف عن الشيخ ابن سعدي مع الناس، بل ومع المخالف فيما يستحق، وهذا كثير لاسيما في مراسلاته[٢] .

٨ . التسامح عن حقه:

أما العفو فهذا مما تواتر الخبر عنه، بل تجاوز أمره إلى الإحسان لمن آذاه، كما هو الحال في صفات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩].

ويقرر شيخ الإسلام هذا المعلم الجليل في القيام لله والتغاضي عن حظِّ النفس في رسالة كتبها لأصحابه، كما في «مجموع الفتاوى» عفوه عمن آذاه وظلمه: « فلا أحبُّ أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حلٍّ من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم»[٣]. أ. هـ.

وكان ممن سعى في إيذائه القاضي زيد الدين ابن مخلوف قاضي المالكية فقال في« مجموع الفتاوى»: «وأنا والله من أعظم الناس معاونةً على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها، وإقامة كل خير، وابن مخلوف لو عمل مهما عمل، والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزمي، مع علمي بجميع الأمور، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين ولن أكون عونا للشيطان على إخواني المسلمين. ولو كنتُ خارجاً لكنت أعلم بماذا أعاونه، لكن هذه مسألة قد فعلوها زورا والله يختار للمسلمين جميعهم ما فيه الخيرة في دينهم ودنياهم، ولن ينقطع الدور وتزول الحيرة إلا بالإنابة إلى الله والاستغفار والتوبة وصدق الالتجاء، فإنه سبحانه لا ملجأ منه إلا إليه، ولا

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣٢)

(٢) ينظر مجموع المؤلفات، المجلد ٢٥ الرسائل.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٥).



حول ولا قوة إلا بالله»[1].

ومن مواقفه لما مات أحد أعدائه، قال ابن القيم في «مدارج السالكين»: «وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط وكان يدعو لهم وجئتُ يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسروا به ودعوا له وعظّموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضي عنه»[2].

وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية»[3]: أن السلطان الملك الناصر، لما رجع إلى الملك مرة ثانية، كان همُّه في طلب الشيخ ورؤيته، فلما تقابلا اعتنقا هنيهة، ثم أخذ معه ساعة يتحدثان وكان من حديثهما، أن طلب الملك الناصر من ابن تيمية رحمه الله أن يفتي في قتل بعض القضاة بسبب ما تكلموا فيه، وحثه على ذلك، إلا أن ابن تيمية ـ أخذ في تعظيم هؤلاء القضاة والعلماء، وبيان مكانتهم، وينكر أن ينال أحداً منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، ومن آذاني فهو في حلٍّ وأنا لا أنتصر لنفسي.

فلذلك قال القاضي ابن مخلوف وقد كان خصما له: «ما رأينا مثل ابن تيمية، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا».

وفي اللحظات الأخيرة من حياته رحمه الله مرض أياماً في محبسه الأخير في القلعة، فعلم بمرضه أحد وجهاء الدولة وهو شمس الدين الوزير، فجاءه يستأذنه في الدخول عليه لعيادته، فأذن الشيخ له في ذلك، فلما جلس عنده أخذ الوزير يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحلّه مما عساه أن يكون قد وقع منه في حق الشيخ من تقصير أو غيره. فأجابه ابن تيمية بقوله: إني قد أحللتُك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق. وقال له أيضاً: إني قد أحللت السلطان الناصر ابن قلاوون من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلداً غيره معذوراً، ولم يفعله لحظّ نفسه، بل لما بلغهُ مما ظنه حقاً من مُبلِّغه، والله يعلم أنه

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧١)

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٤٥)

(٣) (١٤/٥٤)





بخلافه. ثم قال: قد أحللتُ كلَّ واحدٍ مما كان بيني وبينه. كما في «العقود الدرية»[1].

واعتبر هذا بموقف الشيخ ابن سعدي رحمه الله فيمن تعرضوا له بالوشاية والتسبب عليه بالنقص، برحمتهم واتساع صدره لهم وعفوه عنهم، وإحسانه الظن فيهم بأن مرادهم الحق في الخير، وهذا واضح جلي فيمن تسبب عليه بالوشاية التي استدعى بسببها إلى الرياض في قصة يأجوج ومأجوج وما حولها، فكان أول من زاره لما رجع إلى عنيزة، وقبل دعوته بالتقهوي -وهو دخول منزله وشرب القهوة والشاهي عنده لما دعاه- عنده، وهم من وشى به وكتب فيه.

هذه جملة من معالم أهل السنة والجماعة ترسم المنهج العلمي السلفي مع المخالفين رحمة بهم، وبيانًا للحق الذي هو دينهم وغايتهم. والله الموفق.

(١) ص (٢٨٢).





المبحث الثاني
منهج الإنصاف في الرد على المخالف

إن منهج العدل والإنصاف والقيام لله ﷻ وحده دون غيره، قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة المائدة: ٨] هو منهج أهل السنة والجماعة الذي هو من خصائصهم، والذي تميزوا به على الناس.

وأسعد الناس بالعدل والإنصاف هم أهل السنة والجماعة فهم أعدل الناس وأصدقهم، وهم أعلم الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق، وهم أهل الصدق والعدل والإنصاف مع الناس كافة.

والرد على أهل المخالف يكون بالعلم لا بالجهل، وبالعدل لا بالظلم والهوى، فقد أمرنا بالعدل وقول الحق مع الموافق والمخالف، وأن نرد عليهم بالعلم والحق والعدل لا بالجهل والكذب حتى ولو عصوا الله فينا فنحن نطيع الله فيهم ديانةً وتقوى لله ﷻ، والإسلام دين الحق والعدل والصدق قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام: ١١٥].

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**» (١).

في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا...**» (٢).

وقال عمار رضي الله عنه: «ثلاث مَن جمعهنَّ، فقد جمَع الإيمان: «الإنصاف من نفسك، وبَذْل السلام للعالَم، والإنفاق من الإقتار»(٣).

قال الإمام وكيع بن الجرَّاح رحمه الله : «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون

---

(١) رواه مسلم (٢١٦).

(٢) رواه مسلم(٢١٦)، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري معلقًا؛ أنظر: صحيح البخاري مع الفتح (١/ ٨٣)، ورواه عبدالرزَّاق في المصنف، برقم: (١٩٤٣٩).





إلاَّ ما لهم»[1].

وفي هذا قال ابنُ القيِّم رحمه الله في «بدائع الفوائد» ـ في بيَّانه صفاتِ أهل العلمِ والإيمانِ: «هُم إلى اللهِ ورسوله مُتحيّزون، وإلى مَحْضِ سُنَّتِهِ مُنْتَسِبُون، يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ أنَّى توجَّهَتْ رَكائبُهُ، ويستقرُّونَ معه حيث استقرَّتْ مضارِبُهُ.

لا تستفزُّهم بَدَواتُ آراء المخْتَلِفِين، ولا تُزَلْزِلُهم شُبُهاتُ المبْطِلِين؛ فهُم الحُكَّامُ على أربابِ المقالات، والمميِّزونَ لِما فيها مِن الحقِّ والشُّبُهات.

يردُّونَ على كُلٍّ باطِلَه، ويُوافقونَهُ فيما معه مِن الحقِّ؛ فهم في الحقِّ سِلْمُهُ، وفي الباطِلِ حَرْبُه.

لا يميلون مع طائفةٍ على طائفةٍ، ولا يَجْحَدُونَ حقَّها لِمَا قالَتْهُ مِن باطِلٍ سِواه.

بل هُم مُمْتَثِلون قولَ الله ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٨].

فإذا كان قد نهى عباده أن يحملهم بغضهم لأعدائهم على أن لا يعدلوا عليهم ـ مع ظهور عداوتهم، ومخالفتهم، وتكذيبهم لله ورسوله؛ فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن يحمله بغضه لطائفة منتسبة إلى الرسول تصيب وتخطئ على ألا يعدل فيهم، بل يجرد لهم العداوة وأنواع الأذى؟!

ولعله لا يدري أنهم أولى بالله ورسوله، وما جاء به منه ـ علما، وعملا، ودعوة إلى الله على بصيرة، وصبرا من قومهم على الأذى في الله، وإقامة لحجة الله، ومعذرة لمن خالفهم بالجهل! ـ.

لا كمن نصب مقالة صادرة عن آراء الرجال، فدعا إليها، وعاقب عليها، وعادى من خالفها بالعصبية وحمية الجاهلية» أ. هـ[2].

وقال قبله شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان: فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة: ٨]، ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق،

---

(١) سنن الدارقطني (١/ ٤٣)، رقْم (٣٩).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٦٤٩-٦٥٠)



ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا» (١).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]، وقال ﷺ: «**مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ تَعَالَى وَمَنَعَ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَحَبَّ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَبْغَضَ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَنْكَحَ لِلَّهِ تَعَالَى فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ**»(٢).

وعن يحيى بن راشد قال: جلسنا لعبد الله بن عمر فخرج إلينا فجلس فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال**»

وفي رواية: «**وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ** ﷻ» (٣).

وقال النبي ﷺ: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٤)

وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٨].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : «أي: لا يحملنكم بغض قَوْمٍ عَلَى ألا تَعْدِلُوا؛ كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا

(١) الرد على البكري لابن تيمية: (٢٥١).

(٢) أحمد (١٥١٩) والترمذي (٢٥٢١) وأبو داود (٤٦٨١) وحسنه الألباني

(٣) رواه أحمد (٥٣٦٢) وأبو داود (٣٥٩٧) وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه البخاري برقم (٣٣)، ومسلم (١١١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.





له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق »[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].

قال ابن كثير ﷺ : « يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «الرَّد على الإخنائي»: « وهذا كله مما نهى عنه رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، فكيف يشبه ما نهى عنه وحرمه بما سنه وفعله؟ وهذا الموضع يغلط فيه هذا المعترض وأمثاله، ليس الغلط فيه من خصائصه، ونحن نعدل فيه ونقصد قول الحق والعدل فيه كما أمر الله تعالى، فإنه أمر بالقسط على أعدائنا الكفار، فقال سبحانه: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٨]، فكيف بإخواننا المسلمين، والمسلمون إخوة، والله يغفر له ويسدده، ويوفقه وسائر إخواننا المسلمين»[3].

وقال شيخُ الإسلام: «ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل لا بالظن وما تهوى الأنفس، ولهذا قال النبي ﷺ: «القضاة ثلاثة.. »، فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض إذا لم يكن عالما عادلا كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان وأصول الإيمان والمعارف الإلهية والمعالم العلية بلا علم ولا عدل؟ »[4].

وقال شيخ الإسلام ﷺ: «ومعلومٌ أنّا إذا تكلّمْنا فيمن دون الصّحابةِ، مثل: الملوكِ المختلفين على الملكِ، والعلماءِ والمشايخِ المختلفين في العلمِ والدينِ؛ وجب أن يكونَ الكلامُ بعلمٍ وعدلٍ، لا بجهل وظلم؛ فإنَّ العدلَ واجبٌ لكلِّ أحدٍ على كلِّ أحدٍ في كلِّ حالٍ، والظّلمَ محرّمٌ مطلقًا لا يُباح قطُّ بحالٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة

(١) تفسير السعدي (٢٢٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٦٥

(٣) الرَّد على الإخنائي (ص ٢٤٢)

(٤) الجواب الصّحيح (١/١٠٧-١٠٨)





المائدة: ٨]، وهذه الآيةُ نزلتْ بسببِ بُغْضِهم للكفّارِ، وهو بغضٌ مأمورٌ به، فإذا كان البغضُ الذي أمر اللهُ به قد نُهي صاحبُه أن يظلمَ من أبغضه؛ فكيف في بغضِ مسلمٍ بتأويلٍ وشبهةٍ أو بهوى نفسٍ؟!! فهو أحقُّ ألاّ يُظْلَم، بل يُعدلُ عليه... »(١).

وقال ابن تيمية أيضًا: « ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل الإنصاف، ولا يظلمونهم؛

فإن الظلم حرام مطلقًا كما تقدم بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض! بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضا، ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض.

والخوارج تكفر أهل السنة والجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم

وكذلك أكثر الرافضة ومن لم يكفر فسق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأيًا ويكفرون من خالفهم فيه.

وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول، ولا يكفرون من خالفهم فيه؛ بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق كما وصف الله به المسلمين بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس. وأهل السنة نقاوة المسلمين فهم خير الناس للناس»(٢).

وقال ﷺ : «والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل

وظلم، كحال أهل البدع» (٣).

وقال ﷺ تعالى: «وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين، ويتكلمون بعلم وعدل، ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء» (٤).

وقال: «ألا ترى أن أهل السنة وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرها من أهل البدع ما يقولون، لكن لا يعاونون الكفار على دينهم، ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعة دون

(١) منهاج السّنّة، ابن تيميّة (٥/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) منهاج السنة (٥/١٠٣)

(٣) المرجع السابق (٤/٣٣٧)

(٤) منهاج السنة (٢/٧١)





ذلك؟ والرافضة إذا تمكنوا لا يتقون»[١].

قال الحافظ ابن حجر ﵀ : «إن الذي يتصدى لضبط الوقائع من الأقوال والأفعال والرجال يلزمه التحري في النقل فلا يجزم إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالقول الشائع ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح... ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفا بمقادير الناس وبأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع» ا. هـ. [٢].

ومن إنصاف ابن تيمية وعدله ﵀ قال وهو يتحدث عن مذهب الكرامية في الإيمان: (والكرامية يقولون: المنافق مؤمن وهو مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهرا لا باطنا وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا. قالوا: والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدينية المتعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [سورة النساء: ٩٢]... و الكرامية توافق المرجئة والجهمية في أن إيمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيمان، بل يقولون: هو مؤمن حقًا لمن أظهر الإيمان وإذا كان منافقًا فهو مخلد في النار عندهم، فإنه إنما يدخل الجنة من آمن باطنًا وظاهرًا، ومن حكى عنهم أنهم يقولون: المنافق يدخل الجنة، فقد كذب عليهم بل يقولون: المنافق مؤمن؛ لأن الإيمان هو القول الظاهر كما يسميه غيرهم مسلمًا، إذ الإسلام هو الاستسلام الظاهر.) [٣].

وقال ﵀ في سياق الكلام على المعتزلة والجهمية النُّفاة: «وكان ممن انتدب للردِّ عليهم أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب وكان له فضل وعلم ودين، ومن قال: إنه ابتدع ما ابتدعه ليظهر دين النصارى في المسلمين .كما يذكره طائفة في مثالبه، ويذكرون أنه أوصى أخته بذلك – فهذا كذب عليه، وإنما افترى هذا عليه المعتزلة والجهمية الذين ردَّ عليهم، فإنَّهم يزعمون أنَّ من أثبت الصِّفات فقد قال بقول النَّصارى، وقد ذكر مثل ذلك عنهم الإمام أحمد في الرد على الجهميَّة؛ وصار ينقل هذا من ليس من المعتزلة من السَّالمية ويذكره أهل الحديث والفقهاء الَّذين ينفرون عنه لبدعته في القرآن، ويستعينون بمثل هذا الكلام الذي هو من افتراء الجهمية والمعتزلة عليه، ولا يعلم هؤلاء أنَّ الَّذين ذمُّوه بمثل هذا هم شرٌّ منه، وهو خير وأقربُ إلى السُّنَّة منهم.

وكان « أبو الحسن الأشعري » لما رجع عن الاعتزال سلك طريقة أبي محمد بن كلاب، فصار

---

(١) منهاج السنة (٣٧٥/٦)

(٢) نفائس الحلة في التآخي والخلة (ص٩٣-٩٤.)

(٣) مجموع الفتاوى ١٤١/٧)





طائفة ينتسبون إلى السنَّة والحديث من السَّالمية وغيرهم كأبي علي الأهوازي يذكرون في مثالب أبي الحسن أشياء هي من افتراء المعتزلة وغيرهم عليه لأنَّ الأشعريَّ بيَّن من تناقض أقوال المعتزلة وفسادها ما لم يبيِّنه غيره حتى جعلهم في قمع السمسمة» (١) .

وقال أيضاً في الرَّدِّ على الإخنائي: «وليس المقصود أيضًا العدوان على أحد . لا المعترض ولا غيره . ولا بخس حقه ولا تخصيصه بما لا يختص به مما يشركه فيه غيره، بل المقصود الكلام بموجب العلم والعدل والدين كما قال تعالى ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [سورة المائدة: ٨]»(٢).

وقال الإمام ابن القيم: «... والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجل، خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ [سورة الشورى: ١٥]، فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف و ألا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعه، بل يكون الحق مطلوبه، يسير بسيره، وينزل بنزوله، يدين بدين العدل والإنصاف ويحكم الحجة، وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فهو العلم الذي قد شمر إليه، ومطلوبه الذي يحوم بطلبه عليه، لا يثني عنانه عذل عاذل، ولا تأخذه فيه لومة لائم، وَلاَ يَصدُّه عَنْهُ قَولُ قَائلٍ»(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله في ذمه للهوى: «وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمُّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ﷺ، ولا يغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أنَّ الذي يرضى له ويغضب له أنَّه السُّنَّة، وأنَّه الحق، وهو الدين، فإذا قُدِّر أنَّ الذي معه الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحميَّة لنفسه وطائفته، أو الرياء، ليُعظَّم هو ويُثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً، أو لغرض من الدنيا: لم يكن لله، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدَّعي الحق والسُّنَّة هو كنظيره معه حق وباطل، وسنَّة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل، وسنة وبدعة؟!»(٤).

---

(١) شرح حديث النزول (١٧١/١)، مجموع الفتاوى (٥/٥٥٥)

(٢) الرد على الإخنائي (ص ١١٠).

(٣) إعلام الموقعين، (٣/١٠٦-١٠٧)

(٤) مجموع الفتاوى (٥/٢٥٦).



وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هو أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة، فيجب أن يبتغى به وجه الله، وإن يكون مطابقا للأمر.

وفي الحديث: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي أن يكون عليما بما يأمر به؛ عليما بما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه» (قال المحقق: لم أجد هذا الحديث). فالعلم قبل الأمر، والرفق مع الأمر، والحلم بعد الأمر؛ فإن لم يكن عالما لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم، وإن كان عالما ولم يكن رفيقا، كان كالطبيب الذي لا رفق فيه، فيُغْلِظ على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد. وقد قال تعالى لموسى وهارون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٤].

ثم إذا أمر ونهى فلا بد أن يؤذى في العادة، فعليه أن يصبر ويحلم. كما قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧].

وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع، وهو إمام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر. فإن الإنسان عليه أولا أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمره به. وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره، كان ذلك حَمِيّة لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطًا، ثم إذا رُدَّ عليه ذلك وأوذِيَ أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوىً يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي.

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة؛ فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوىً أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم، وإن كان جاهلًا سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله. ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم، ويقولون: هذا صديقنا وهذا عدونا، وبلغة المغل: هذا بالٍ، هذا باغي، لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله، ومعاداة الله ورسوله.

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩]، فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.





وأصل الدين أن يكون الحب لله، والبغض لله، والموالاة لله، والمعاداة لله، والعبادة لله، والاستعانة بالله، والخوف من الله، والرجاء لله، والإعطاء لله، والمنع لله. وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله، الذي أَمْرُه أمر الله، ونهيه نهي الله، ومعاداته معاداة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله.

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة، وهو الحق، وهو الدين،

فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون

الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحَميَّة لنفسه وطائفته أو الرياء، ليعظَّم هو ويُثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعا، أو لغرض من الدنيا ـ لم يكن لله، ولم يكن مجاهدا في سبيل الله. فكيف إذا كان الذي يدَّعي الحق والسنة هو كنظيره، معه حق وباطل، وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل، وسنة وبدعة؟!

وهذا حال المختلفين الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا، وكفّر بعضهم بعضا، وفسّق بعضهم بعضا. ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٤ ، ٥]))[1].

والمقصود أن كلام السلف الصالح رحمهم الله في هذا الأصل كثيرٌ جدًا، وما انتقيته منهم كاف — بحمد الله — في بيان المقصود بتحقيق منهج الانصاف والعدل مع المخالفين.

أنموذج إنصاف ابن سعدي لابن الجوزي، وإنزاله منزلته :

وهذا الشيخ ابن سعدي أنصف العالم الحنبلي أبا الفرج ابن الجوزي (٦٠٠هـ) رحمهم الله فأبان ما برز فيه وتميَّز، ثم بين ما انحرف فيه وأخطأ فقال في فتاواه: "الجواب وبالله التوفيق: ابن الجوزي رحمه الله وغفر له إمام في الوعظ والتفسير والتاريخ، وكذلك هو أحد الأصحاب المصنفين في فقه الحنابلة، ولكنه رحمه الله خلط تخليطا عظيما في باب الصفات وتبع في ذلك الجهمية والمعتزلة، فسلك سبيلهم في تحريف كثير منها وخالف السلف في حملها على ظاهرها، وقدح في المثبتين، ونسبهم إلى البلاهة.

وهذا الموضوع من أكبر أغلاطه، ولذلك أنكر عليه أهل العلم، وتبرأ منه الحنابلة في هذا الباب، ونزهوا مذهب الإمام أحمد عن قوله وتخبيطه فيه، ومع وذلك فإن له في المذهب كتاب "المذهب" وغيره،

(١) منهاج السنة، (٥/ ٢٥٣-٢٥٦)





وله تصانيف كثيرة جدا حسنة فيها علم عظيم، وخير كثير، وهو معدود من الأكابر الأفاضل، ولكن كل أحد مأخوذ من قوله ومتروك سوى النبي ﷺ، فكلامه في كتاب التأويل.

وكلامه في الفصول التي في أول "صيد الخاطر" كما أشرتم إليها يجب الحذر منها والتحذير، ولولا أن هذه الكتب موجودة بين الناس لكان للإنسان مندوحة عن الكلام فيه، لأنه من أكابر أهل العلم وأفاضلهم، وهو معروف بالدين والورع والنفع، ولكن لكل جواد كبوة، نرجو الله أن يعفو عنا وعنه وفي "صيد الخاط" أيضاً أشياء تنتقد عليه، ولكنها دون كلامه في الصفات، مثل كلامه عن أهل النار، وفي الخوض في بعض مسائل القدر وأشياء يعرفها المؤمن الذكي، وإننا نأسف على صدورها من قبل هذا الرجل الكبير القدر»[١].

فها هو أنصفه وأنزله منزلته في العلم والفضل، وما برز فيه، ولم يمنعه ذلك التنبيه على باطله وبدعه، واعتبار ذلك من كبواته، وضمَّن ذلك الإجلال والتقدير والدعاء له والترَّحم عليه، من غير غلو ولا تفريط أو إسفاف فيما غلط! مما يطول هذا المقام على تتبعه وإبرازه، وبنحو هذا صنيع الحافظ ابن رجب مع ابن الجوزي، لما ترجم له في «ذيل طبقات الحنابلة»[٢].

---

(١) الفتاوى السعدية ص٤٤-٥٥، ضمن مجموع مؤلفات السعدي.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، (٢٨٦/٢)، ذيل طبقات الحنابلة، ملامح عقدية، بحث منشور، جامعة الإمام، للشيخ/ علي الشبل.





المبحث الثالث
زهد الشيخ ابن سعدي بالمناصب والولايات

ومن أثر العقيدة والإيمان على الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تورعه وتزهده عن الولايات ولاسيما ولاية القضاء، وكذا بعده عن الرئاسات، وكان يرفع دينه وعرضه عن الشهوة الخفية، فكانت هذه العقيدة موجهة له في سلوكه وأحواله، ثم في تعامله مع الناس، ولاسيما المخالفين، وأما الشهوة الخفية، روى غير واحد عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَا نَعَايَا الْعَرَبِ، يَا نَعَايَا الْعَرَبِ، يَا نَعَايَا الْعَرَبِ: إن أخوف ما أخاف عليكم: الرياء، والشهوة الخفية**»[1].

والشهوة الخفية من الرياء هي التطَّلع للرئاسات والمناصب وما يتعلق بها من الجاه، فقد روى أبو بكر بن أبي داود قال سمعت أبي، وهو الإمام أبو داود صاحب السنن رحمه الله قال: «الشهوة الخفية حبُّ الرئاسة».

ويا لله كم في هذه الشهوة الباطنة من حب الرئاسات من الظلم والعدوان والبغي والعصيان وتسويغ المحرمات، والوقوع في الشبهات وتبرير الذنوب والأهواء كما قرر شيخ الإسلام ابن تيميه في كلام طويل مقصوده قوله: «حب الرئاسة هو: أصل البغي والظلم».

ومن عرفوا الشيخ ابن سعدي من طلابه ومن أهل العلم والفطنة، تعجبوا من بعده رحمه الله عن هذه الشهوة وزهده بالأعمال الوظيفية والمناصب الدينية مع أهليته لها.

ولا شك أن لهذا أثر نفسي وعقدي عظيم في الترفع عن الهوى وحظ النفس مع الموافق ومع المخالف، والتطلع للشهرة والرئاسة.... إلخ.

وطلبًا لعدم التطويل، أسوق لهذا مثالين عنه رحمه الله :

١ . فقد روي لنا مشايخنا وأقاربنا عن الشيخ ابن سعدي أن الإمام عبد العزيز بن سعود رحمه الله رشحه للقضاء في مدينه عنيزة، فتكدَّر الشيخ لهذا جدًا، ثم استخفى وذهب لمكة مجاورًا فيها أشهرًا، حتى صُرف النظر عن توليته القضاء، وكان ذلك بشفاعة من بعض الوجهاء الأكابر لدى الملك عبد العزيز، فأعفاه.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ١٢٢/٧ وغيره، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٠٨).





وكان الشيخ ابن سعدي وهو بمكة في همٍّ وغمٍ لُحظ ذلك عليه، وكان في ملجأٍ إلى الله ﷻ أن يفرِّج عنه ويرفع القضاء عنه حتى رأى في منامه رؤيا فيها البشرى بإعفائه عن ولاية القضاء ففرح فرحًا عظيمًا.

٢ . والأنموذج الثاني في مكانته لدى مفتي الديار السعودية وقتئذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب (١٣١٢ – ١٣٨٩ هـ) رحمهم الله؛ حيث شرعوا في إنشاء المعاهد العلمية في ربوع البلاد السعودية فأسس المعهد العلمي بعنيزة سنه ١٣٧٣هـ، ووجهه الشيخ ابن إبراهيم للشيخ ابن سعدي الإشراف عليه براتب شهري . كالمدير له . فاستعفى الشيخ ابن سعدي من ذلك مع إلحاح الشيخ ابن إبراهيم عليه، فخضع لرأيه ورضي وقنع بالإشراف على المعهد بلا راتب شهري زهدًا من الشيخ ابن سعدي ورشح له ابن سعدي رفيق دربه وتلميذه العم الشيخ يوسف بن عبد العزيز الشبل(١٣٧٣ هـ) رحمهم الله.

فلم يزل مشرفًا عليه علميًا ومنهجيًا على المعهد بتوجيه الشيخ محمد بن إبراهيم حتى وفاة الشيخ ابن سعدي رحمهم الله جميعًا.

وما هذا التوجيه الكريم من الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية للشيخ ابن سعدي رحمهما الله إلا إبراز لمكانته، وتقدير لعلمه، وتزكيته لمنهجه وطريقته، وإلا لو لم يكن كذلك، فكيف يجعله مشرفًا على معقل من معاقل تعليم العلم في المعهد العلمي بعنيزة؟!.

هذا وإجلال الشيخ ابن سعدي للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ(١٣٨٩هـ) متبادل بينهما، لمعرفة كلٍ قدر صاحبه، وبعده عن تهم الجهال وإغرائهم الشيخ ابن إبراهيم عليه.

كما في مراسلات الشيخ ابن سعدي للمشايخ دلالة على التقدير والحب والتناصح بينه وبينهم، وحسبكم في هذه القاعدة الشهيرة "العلم رحم بين أهله"[(١)].

حيث راسل الشيخ ابن إبراهيم بالرياض، والشيخ ابن باز في الرياض، والشيخ ابن حميد في بريدة، والشيخ محمد نصيف بجدة... وغيرهم.

(١) ينظر في هذا: مجموع مراسلات الشيخ ابن سعدي مع تلميذه ابن عقيل في عدة قضايا، وفيها مشكلة عبد الله بن علي القصيمي الصعيدي، وأنظرها في الرسائل ضمن مجموع مؤلفات السعدي (٢٥/٨١-٩٧).



المبحث الرابع
منهج الإنصاف عند الشيخ ابن سعدي مع الكافر والظالم

وذلك لما كان العدل خصيصة المؤمن التي أمر الله بها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، وضد ذلك الظلم والبغي والعدوان الذي نهانا الله عنه، حتى مع الكافر والمعتدي والظالم، وهذه اللطيفة عن ابن سعدي رحمه الله (١) في تحقيق هذا النهج الإسلامي الأسمى، فقد حدثني ابن العم الأستاذ الدكتور عبد الله اليوسف الشبل أن «أحدهم» تحدث مع الشيخ ابن سعدي عن احتواء كتاب «كفاحي» **لأدولف هتلر** على إساءة «للعرب»، فسأله الشيخ ابن سعدي: هل قرأت الكتاب بلغته الأصلية؟ وإذ نفى «المعترض» ذلك وأنه قرأ النسخة العربية رد الشيخ السعدي: إذن فاعلم أن الكتاب صدر «بالألمانية»ثم ترجم إلى «الإنجليزية»ومنها إلى «العربية»، وربما زيد عليه أو أبدل فيه، ومن الواجب «التثبت»قبل الحكم وخصوصاً أن «لهتلر» أعداءً لن يتورعوا عن تشويه صورته.

فيا لله كم في هذا التعليم، وهذا التوجيه من العدل والأنصاف، ولو كان مع هتلر هذا الطاغية، وهذا منهج دين الله عز وجل، فإن فرعون أطغى من هتلر، وأش كفرًا؛ حيث أدعى الربوبية والألوهية، ومع ذلك حلم الله عليه، وأرسل إليه رسوليه: موسى وهارون عليهما السلام، وأمرهم بالرفق بدعوته واللين في تبليغه، فقال سبحانه: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٣، ٤٤].

وفي هذا المقام انتبه الشيخ ابن سعدي لجانب مهم في الحكم على هذا المخالف، دينًا وعقيدة وسلوكًا وحالًا، حيث لما كثر خصوم **أولف هتلر**، وأعلن شانئُوه بالذم والقدح فيه، لفت الانتباه إلى تحري العدل في الحكم عليه، بعدم الانسياق وراء دعايات التشويه، بأخذ المعلومة والإدانة من مصدرها الصحيح، والبعد عن المؤثرات الجانبية من الدعايات والخصومات التي من خلالها يحكم عليه، ولو كان المردود عليه كافرًا طاغية ظالما!

ومن منهج الشيخ ابن سعدي التجرد للحق والتحقيق فيه، وعدم الالتفات للأغراض وأهلها في سبيل ذلك، وأشهر ما لقيه رحمه الله في مسألة الوشاية به، قصة يأجوج ومأجوج؛ حيث حدثنا تلميذه

---

(١) للشيخ ابن سعدي مؤلف جليل سماه "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين" ضمنه (٨٣) ثلاثًا وثمانين وجهًا في إبطال الكفر والشرك، وكذا رده الآتي التنويه عنه على عبد الله القصيمي، لكني أردت ها هنا التنويه عن جانب آخر من جوانب الإنصاف والعدل عند الشيخ ابن سعدي رحمه الله.





الشيخ ابن عقيل، فقال ﷺ: كتب الشيخ عبد الرحمن السعدي رسالة عن (يأجوج و مأجوج)، ظهر له أنهم الذين خلف السد، الصين وما حولها –بل الدول الآسيوية والأوربية كما يأتي في كلام الشيخ السعدي قريبا –، وقد شغب بعضهم على الشيخ عبد الرحمن السعدي بسبب هذه الرسالة وانتشر كلام غير صحيح عن الشيخ، والصحيح أن الملك عبد العزيز رغب من الشيخ عبد الرحمن السعدي الحضور وحادثه بكل تقدير واحترام له، ومما قاله له: إننا لا نرغب أن تكون هذه مصدر تشويش أو كلام نحو هذا، فما كان من الشيخ عبد الرحمن السعدي إلا أن قبل بهذا، وقال: إن هذه المسألة ليست من أصول العقيدة والدين، ولم يتكلم بها الشيخ بعد هذه.

نماذج من كلام الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ﷺ في مسألة «يأجوج ومأجوج» تبين عن رأيه في هذه المسألة باختصار[1]؛ حيث قال ﷺ: «اعلم أن من تأمل ما ذكره الله في كتابه عن يأجوج ومأجوج، وما ثبتت به سنة رسول الله ﷺ عنهم، وما في ذلك من صفاتهم، وعلم ما ذكره المفسرون والمؤرخون في قصة ذي القرنين، وعرف الواقع والمحسوس وما على وجه الأرض من أصناف بني آدم، فمن عرف ذلك كله تيقن يقينًا لا شك فيه أنهم هم الأمم الموجودون الآن الذين ظهروا على الناس: كالترك، والروس، ودول البلقان، والألمان، وإيطاليا والفرنسيين والإنجليز واليابان، والأمريكان، ومن تبعهم من الأمم، فإنه دل الكتاب والسنة دلالة بينة صريحة أن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم، وأنهم ليسوا بعالم آخر غيبي كالجن، ونحوهم ممن حُجب الآدميون عن رؤيتهم، والإحساس في الدنيا بهم، بيان ذلك في القرآن من قصة ذي القرنين في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [سورة الكهف: ٩٣ ـ ٩٤]. إلى آخر الآيات، فمن فهم معنى هذه الآيات، وما ذكره أصناف المفسرين فيها، علم قطعًا أنهم كما ذكر الله في شكاية هؤلاء القوم الذين كثر إفسادهم لذي القرنين بالقتل والنهب والتخريب وأنواع الفساد، فطلبوا منه أن يجعل بينهم وبينهم سدًّا، يمنعهم من الإفساد، والنفوذ إليهم، فأجاب ذو القرنين طلبتهم، طاعة لله وإحسانًا على هؤلاء المظلومين، فجعل بينهم وبينهم ردمًا، ومعلوم أنهم آدميون محسوسون، قد تناولوهم بأنواع الأذى. فلو كانوا جنسًا آخر كالجن ونحوهم، ممن حُجبوا عن الأبصار، لم يتمكنوا من الأذية لبني آدم إلى هذا الحد، ولم يطلب هؤلاء القوم من ذي القرنين ما لا قدرة له عليه، ولم يمنعهم من الأذية سد ولا ردم.

---

[1] ولإظهار سعة بال الشيخ ابن سعدي، واطمئنانه تجاه هذه المحنة، ينظر: مراسلاته لتلميذه ابن عقيل، في ذكر طرفًا مما لقيه في الرياض في اجتماعه بالإمام الملك عبد العزيز، وبالمشايخ رحمهم الله، وحسن ظنه بهم وإكرامهم له، وما فيها من التوفيق والمنن... مجموع المؤلفات–الرسائل (٤٩/٢٥ و ٥٩ وما بعده)





وذلك أن هناك جبلين متقابلين متصلين بمشارق الأرض ومغاربها، وليس للناس في تلك الأزمان طريق إلا من تلك الفجوة التي بين السدين حيث كان مسير الناس في ذلك الوقت على الإبل، والبغال، والحمير فبنى ذو القرنين سدًّا محكمًا بين الجبلين، فتم بنيانه للردم بين الناس، وبين يأجوج ومأجوج، وبقي ما شاء الله أن يبقى.

ثم بعد ذلك ظهروا على الناس من جميع النواحي، والجبال، والبحار فتحركوا في وقت النبي ﷺ في أول قتال وقع من المسلمين مع النصارى، في وقعة مؤتة، وكان المسلمون أربعة آلاف، وجيش النصارى مائة وعشرين ألفًا، فكشف للنبي ﷺ عنهم يوم قتالهم فقال وهو يخطب الناس: «أخذ الراية جعفر فأصيب، ثم أخذها زيد ابن حارثة فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله وهو خالد بن الوليد، ففتح الله عليه» يخبرهم بذلك وهو يبكي ﷺ.

وهذا هو مبدأ تحركهم لقتال المسلمين، والخروج عليهم، وهو معنى قوله ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا»[(١)].

قال: ولم يزالوا في ازدياد، وظهور على الناس، حتى وصل الأمر إلى هذه الحال المشاهدة، ولا بد أن يقع كل ما أخبر الله به ورسوله.

ومنها: أن الناس قد شاهدوا السد قد اندك، ورأوا يأجوج ومأجوج قد تجاوزوه، فإن السد ـ كما ذكرنا ـ في الموانع الجبلية، والمائية، ونحوها المانعة من وصولهم إلى الناس، فقد شاهدوهم من كل محل ينسلون، فالبحر الأبيض والأسود، والمحيط من جميع جوانبه، وما اتصل بذلك من الموانع كلها قد مضى عليها أزمان متطاولة وهي سد محكم بينهم وبين الناس، لا يجاوزها منهم أحد، بل هم منحازون في أماكنهم، وقد زال ذلك كله، وشاهدهم الناس، وقد اخترقوا هذه البحار، ثم توصلوا إلى خرق الجو بالطائرات، وبما هو أعظم منها، فلا يمكن لأحد إنكار هذا ولا المكابرة فيه.

وهذه الأدلة التي ذكرناها من نص الكتاب والسنة الصحيحة، والأدلة العقلية، والواقع، والمشاهدة، كلها أمور يقينية لا شك فيها، ولا مناقض لها.

والمقصود أن ظهورهم على الوصف الذي شرحناه، قد تبين موافقته للكتاب والسنة الصحيحة، والعلم الصحيح العقلي الحسي، يعتبر آية وبرهانًا عظيمًا على صدق القرآن، وصحة ما جاء به رسول الله ﷺ، من آيات بينات لا تزال تشاهد، وتظهر كل وقت وحين، يعتبر بها المعتبرون وينتفع بها المؤمنون، ويسترشد بها الغافلون المعرضون، وتقوم بها الحجة على المعارضين المعاندين.

وأما من اعتمد في قصة يأجوج ومأجوج على قصص إسرائيلية، وآثار موضوعة وقصص خرافية،

---

(١) رواه البخاري (٥٤٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.



وعوائد جرت مخالفة للعلم، فقد حرم الوصول إلى الهداية والاستنارة بنور العقل المؤيد بالشرع». أ. هـ.

ومن جوانب بُعد النظر، وملاحظة المقاصد والغايات المهمة المطلوبة، ما ذكره شيخنا ابن عقيل، قال: «كان الشيخ عبد الرحمن السعدي لا يرد من يطلب منه استعارة كتاب وان كان هذا الشخص قد لا يحافظ على الكتاب ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي أن ما يحصل للمستعير من الفائدة أعظم».

ومن لين جانبه، ولطافته ورقة نفسه، كثرة ممازحته للناس وسروره بهم، حدثنا الشيخ ابن عقيل، قال: «كان الشيخ عبد الرحمن السعدي يداعب ويمازح أصحابه غير انه لا يكثر منه ومن ذلك: أن رجلًا في الستين من عمره تزوج!

فصادف أن قابله الشيخ عبد الرحمن السعدي ذات مرة فبارك له، فقال ذلك الرجل للشيخ ((انظر إلى إصبعي لقد عضتني!))

فرد الشيخ عليه ـ بالعامية ـ ((زين إن كان لها سنون!!))».

وهذا كثير جدًا في نماذجه وقصصه عن الشيخ ابن سعدي مع أهل عنيزة وغيرهم، بل كان يواعد الناس من الداعين له يوميًا على قبول دعوتهم للقهوة عندهم في بيوتهم بعد صلاة الظهر؛ ليشرفهم ويؤانسهم في وقت مناسب قليل لا يعطله عن مشاغله، ولا يحجزهم عن أعمالهم؛ حيث يأخذ معهم نحو نصف ساعة تقريبًا.

ولين الجانب وسعة الصدر، وسمو النفس، وبعد النظر وحسن الظن في شخصية الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي ظهرت جليةً في سلوكه وأحواله، ومن ثم في تعامله مع الناس قريبهم وبعيدهم، وموافقهم ومخالفهم، ومحبهم ومبغضهم.

حيث كان لإيمانه بالله وبوعده وخشية ربه وخوفه منه، ورهبته من وقوفه بين يديه في الآخرة، وتطلعه لثوابه ونواله وحسن خلقه وكريم مروءته وطيب شمائله، وتنزه أن يكون لأحد عليه تبعة من المظالم...، الدافع والحافز الأكبر في مآثر الشيخ ابن سعدي.

وأسوق في هذا المقام جوانب أخبرني بها الشيخ القاضي الفقيه عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل (١٣٣٤ ـ ١٤٣٢هـ)، وهو من كبار طلاب الشيخ ابن سعدي، وقد ولي قضاء عنيزة حياة شيخه ابن سعدي من سنة (١٣٧٠ ـ ١٣٧٥هـ) ثم نقل إلى الرياض.

وحدثني الشيخ ابن عقيل قال: «كان الشيخ عبد الرحمن السعدي كثير الحج، ويحرص الناس هناك في عنيزة على الحج معه؛ ليتعلموا منه، ويكون حجهم على الوجه الصحيح المرضي.

ومن رقة الشيخ ابن سعدي ورهافة إحساسه، وتعلقه بالأخرة حتى في أبواب الأدب والشعر، كان





الشيخ عبد الرحمن السعدي يحب مقامة الحريري ((التوبة)) لما فيها من معاني جيدة، وقد قرأها الشيخ ابن عقيل على شيخه السعدي، ولولا الإطالة ها هنا لسقتها كلها.

وقال الشيخ ابن عقيل: «كان الشيخ عبد الرحمن السعدي يقرأ في ديوان «المتنبي» الذي فيه حكم ومدح وهجاء، فرأى في المنام أنه ينبش قبرًا، فتقززت نفسه من ذلك، وعلم أن ذلك من قراءة ديوان المتنبي فتركه».

وهذا أنموذج للورع ترك ما لا ينفع في الأخرة، مخافة أن يتعلق بدينه وذمته من الذم والقدح المذمومين شرعًا، والذي تسري عواقبه على لسانه وقلبه مما يؤثر على دينه.

هذا ولما ذهب الشيخ ابن سعدي في سفرته للعلاج إلى بيروت للعلاج في مستشفى الجامعة الأمريكية، وكانت عنده فرص كثيرة من الوقت، وكان محبًا للاطلاع والقراءة والبحث، وقعت عينه على كتاب لمؤلف غربي غير مسلم، وهو كتاب « دع القلق ...وأبدأ الحياة » حيث رآه مع أحد أبنائه، وهو العم محمد بن عبد الرحمن بن سعدي . لا يزال على قيد الحياة . فقرأ الشيخ عبد الرحمن السعدي كتاب ((دع القلق ...وأبدأ الحياة)) لمؤلفه: **ديل كارنيجي**، وهو مؤلف نصراني غربي، فقال الشيخ ابن سعدي: «إن لدينا في الإسلام ما هو أفضل وأشمل... »، ففيه من الإنصاف وأثر الولاء والبراء وحسن التوجيه.

وحدثني العم محمد بن الشيخ السعدي أنهم لما كانوا مع والده ببيروت، كان الشيخ السعدي حريصًا على سرعة العودة لعنيزة، وأنه مشتاق جدًا للعودة، وكان يرسله الشيخ للسفارة؛ ليتحقق من الخطوط، حيث كانت الطائرات مشغولة بنقل الحجاج، وأن الشيخ ابن سعدي رأى كتاب « دع القلق وأبدأ الحياة »، فقرأه الشيخ في ثلاثة أيام كاملًا، وألف بعده «رسالته الوسائل المفيدة للحياة السعيدة»، ومما ذكره الشيخ ابن سعدي عن المؤلف «ديل كارنيجي»، أنه منصف، وأنه طلب من ابنه أن يشتري نسخة ثانية، وأهداها لأحد جماعتنا ممن يعالج في بيروت من مرضٍ نفسي، وأنه لما قرأه رجع بعد نحو شهر إلى بلده عنيزة!

يقول شيخنا ابن عقيل: «لقد استعرت هذا الكتاب من الشيخ عبد الرحمن السعدي وقرأته.... وينبغي أن يقرأه الإنسان ويكرر قراءته ففيه فوائد.. ولقد استفاد الشيخ عبد الرحمن السعدي من هذا الكتاب في تأليف رسالته «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة»، بل كانت مطالعته لكتاب « ديل كارنيجي» سببًا لتأليف هذه الرسالة الماتعة «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» فلم يمنعه كون المؤلف كافرًا أن يفيد منه، ويتجاوزه إلى مكامن السعادة ووسائلها في ديننا العظيم: دين الإسلام فيلفت الانتباه إليها، ويغني نفسه، ويغني الناس عن البحث عن مرامي تحصيل السعادة من غير مصادر الإسلام ودينه.

ولهذا ربط الشيخ ابن سعدي تحقيق وسائل الحياة السعيدة بما فيه غنية ومغنىً، وهو عقيدة





الإسلام، ودين الإسلام، مع عدم هضم السبب لهذا لتأليف المبارك يحركه من خلال كتاب «دع القلق ...وأبدأ الحياة»، ثم إن هذا الجانب له بعد آخر في سعة نظر الشيخ ابن سعدي، وأفقه الواسع في الإفادة من غيره ـ مهما كان ـ ما دام عنده فائدة ومعلومة؛ «إذ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها».

هذا وربما تحسس البعض من هذا الجانب لفهم غير دقيق لعقيدة المؤمن في الولاء والبراء.

فهذه العقيدة في البراء من الكفر وأهله لا تعني بحال عدم الانتفاع منهم بعلم أو أدب أو صناعة أو تجارب حياة... إلخ.

وهو بهذا يعطي أنموذج للعالم المنصف، والمسلم الواعي المتطلع للإفادة والاستفادة، والتعامل والتعايش، من غير أن يؤثر ذلك على عقيدته ودينه:

فلم يضق عقله ويقصر نظره بعدم الإفادة من غير المسلم ـ فيما يستحق الإفادة والنفع ـ لكونه كافرًا، ولئلا يظن تعارض هذا مع التبرؤ من الكفر وأهله!.

وبنحوها خطب الشيخ ابن سعدي في استنكار العدوان الثلاثي على مصر، وانسحاب الأعداء عن الأراضي المصرية... وكلاهما خطبتان في آخر حياته ﷺ، قبل موته بأقل من ثلاثة أشهر في ١٣٧٦/٣/٦هـ[١].

ومن بعد نظر الشيخ ابن سعدي ﷺ رحمة واسعة، أفقه وحسن بيانه للناس، ومتابعاته للجديد من الآلات والمخترعات، قصة خطبته عن الإذاعة (الميكرفون) لما جيء به إلى الجامع الكبير في عنيزة، فقد حدثني ابن عقيل، فقال: « الشيخ عبد الرحمن السعدي من أوائل من أدخل مكبر الصوت للمسجد، وكان قد تبرع بهذا الجهاز ابن سليمان أحد أعيان عنيزة، وكان وزيرا للمالية آنذاك.

وقد أنكر عليه بعضهم وقال: إنه بدعة!

فخطب الشيخ الجمعة مستخدمًا هذا الجهاز وبين فوائده وأهميته»[٢].

ومما ذكره فيه أنه يُكبِّر الصوت ويرفعه، كما تُكبِّر النظارات القراءة وتوضحها، حيث وضحَّ مكبر الصوت في قياسه على شاهد عند الناس غير مستنكر، وهي القراءة بالنظارات المكبرة؛ ليستوعبوا ذلك ويفهموه، ولا يفرقوا بين المتماثلات.

---

(١) أنظر: الخطب ص ٣٦٦-٣٧٦ في عدة خطب.

(٢) وهي خطبة جليلة، مضمنه مجموعة خطبه، ضمن مجموع مؤلفاته، ص ٣٥١-٣٢٥.





المبحث الخامس
منهج الرد على الملحدين من المسلمين

وهذا باب واسع وللشيخ ابن سعدي رحمه الله ردود متنوعة علمية وعملية، يطول المقام بها جدًا، ولكن نأخذ من هذا أنموذجًا في كشف ابن سعدي لانحرافات ملحد زائغ عن الدين.

هذا ولما انحرف عبد الله بن علي القصيمي، انتدب له علماء نجد للرد عليه وكشفه، وبيان انحرافه عن الجادة، فألف الشيخ السعدي (١٣٧٦هـ) كتابه المختصر: «تنزيه الدين وحملته عما افتراه القصيمي في أغلاله »، وألف الشيخ إبراهيم السويح (ت ١٣٦٩هـ) كتابا بعنوان « بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال»، وصنف الشيخ عبد الله بن يابس (ت١٣٨٩هـ) كتابا بعنوان «الرد القويم على ملحد القصيم »، وغيرهم.

وللمتأمل في هذه الردود يجد العلم والغيرة، وكشف الشبهة، وقوة الحق ونصاعته ووضوحه.

وفي رد الشيخ ابن سعدي على القصيمي في كتابه هذه هي الأغلال تميّزٌ حيث: « أثنى عليه به وبعمقه وجودته العلامة المحدث أحمد شاكر المصري، وفي هذا يحدثنا الشيخ ابن عقل تلميذ ابن سعدي رحمه الله: « ومن كتبه «تبرئة الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله» يقول الشيخ ابن عقيل: كان عبد الله القصيمي عالما وله مؤلفات جيدة، لكنه انحرف وارتد فألف الشيخ عبد الرحمن السعدي هذه الرسالة ردا على كتاب القصيمي «هذه هي الأغلال» وقد اجتمعنا بالشيخ أحمد شاكر لما زارنا في الرياض فقال: من أحسن من رد على القصيمي الشيخ عبد الرحمن السعدي» أ. هـ.

وسبب هذا الرد الجليل من الشيخ ابن سعدي على الرد على المخالفين للحق أنه في عام ١٣٦٦ هـ ألف رسالة « تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله» وكان في رده متين العلم، قويًا في الحق أديبًا عادلًا غير جائر، ففي المقدمة لهذه الرسالة قال الشيخ ابن سعدي، أما بعد: فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبدالله بن علي القصيمي سمَّاه (هذي هي الأغلال) فإذا هو محتوٍ على نبذ الدين والدعاية إلى نبذه والانحلال من كل وجه، وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفا بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على



المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة، فلم يرع الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب، الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقًا، وكثير من الناس يظنون به الظنون التي تدل عليها القرائن، وليست بعيدة من الصواب، لظن بعضهم أنه ارتشى من بعض جهات الدعاية الأجنبية اللادينية.

ولكن لما كتب هذا الكتاب، وطبعه ونشره بين الناس، وجعله دعاية بليغة لنبذ دين الإسلام، بله غيره من الديانات والمبادئ الخلقية، فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين، وجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم؛ خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه، حيث كان معروفًا قبل ذلك من علماء المسلمين، ولم يدر ما طرأ عليه من الانقلاب)(١).

وكان الشيخ ابن سعدي حريصًا على اطلاع العلماء على ردها كالمشايخ: ابن إبراهيم وابن باز، وابن حميد، ومحمد نصيف(٢).

فهي من تأليفه المتأخرة، أتى قبل موته بنحو عشر سنين، وعمر الشيخ ابن سعدي وقتها نحو (٥٨) سنة، وفيها ظهر منهج العدل والغيرة على العقيدة، ودين الإسلام، وكشف زيغ القصيمي وجناياته بعمق علمي ووضوح منهجي، وسمو خلقي، مع النصح للأئمة والذب عن الملة، وأنا لنستحضر وصف تلميذه الشيخ عبد الله البسام: (له أخلاق أرق من النسيم، وأعذب من السلسبيل، لا يعاتب على الهفوة، ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب، يقابل البشاشة ويحيي بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى، ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود، ويعطف على الفقير والصغير، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير، ويساعد بماله وجاهه، وينشر علمه ونصحه، ويدلي برأيه ومشورته بلسان صادق وقلب خالص، وسر مكتوم، ومهما أردت أن أعدد فضائله ومحاسنه التي يتحلى بها، فإني مقصر وقلمي عاجز، ولا يدرك هذا إلا من عاشره وجالسه؛ لذا فإن الله سبحانه أعطاه محبة في القلوب وثقة في النفوس، فأجمعت البلاد على وده، واتفقت على تقديمه، فصار له زعامة شعبية، فإشارته نافذة، وكلمته مسموعة، وأمره مطاع) (٣).

وجانب آخر من الغيرة الدينية عند الشيخ ابن سعدي من وسائل الانحراف والإلحاد التي غزت

---

(١) المقدمة، ص ٣ – ٤.

(٢) ينظر: عدة مراسلات بينه وبين تلميذه ابن عقيل حول هذه الردود على عبد الله بن علي الصعيدي القصيمي، وحفاوة المشايخ بها، وحرص ابن سعدي على ذلك، الرسائل،ص ٢٣-٣٠ ضمن مجموعة المؤلفات، لابن سعدي (٢٥/٨١-١١٨).

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون: (٣/ ٢٤٦)





مجتمعات المسلمين، وتسببت في الانتكاس عن الدين والفطرة، ما جاء في خطب الجمعة في جامع عنيزة الكبير مما أظهر غيرته

يبين قوته في الحق وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، خطبته في التحذير من المدارس الأجنبية المنحرفة، قال فيها: (الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، تفرد بصفات الكمال وتنزه عن النقائص والأشباه والأمثال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الكبير المتعال، وأشهد أن محمدا ﷺ أفضل العالمين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الناس اتقوا الله بفعل أوامره وترك نواهيه، وتحببوا إليه بفعل ما يحبه ويرضيه. واعلموا أن الله مَنَّ عليكم بدين الإسلام، الذي فيه السعادة والفلاح والخير كله على التَّمام. أنقذكم به من الضلالة والشقاء، وأرشدكم به إلى كل خير ورشد وهدى.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣ . ١٠٥].

واحذروا أعداء الإسلام، فإنهم لا يزالون يبغون لكم الغوائل، وينصبون لإضلالكم المصائد والحبائل. فأعظم حبائلهم مدارسهم التي لم تؤسس إلا لإضلال الناس، ولا بنيت إلا لإفساد العقائد والأخلاق، فبئس الأساس.

انظروا إلى آثارها ومن يتخرج منها كيف انسلخوا وانحلوا من الدين، وكيف كان الاستهزاء واحتقار الدين مهنة هؤلاء الأرذلين.

فكم أخرجت هذه المدارس المنحرفة من أبناء المسلمين من كانوا للإسلام أكبر الأعداء، ويظن الغالطون أنها أدوية لأمراضهم، وكانت . والله . أعظم الداء، ويعتبرونها نافعة لهم في دنياهم، فكانت هي الشر والبلاء، وخرجوا منها منسلخين من أخلاقهم وآدابه وإيمانهم متهكمين ومستهزئين بأسلافهم وآبائهم وإخوانهم، مستبدلين من الأخلاق الجميلة كل خلق رذيل، منحرفين من الصراط السوي إلى منحرف السبيل.

كيف يرضى مسلم أن يختارها لأولاده وهم عنده ودائع وأمانات؟ وكيف يضعهم في شبكة الهلاك؟ فهذا أكبر الخيانات.





وكيف يرضى أن يخسر ولده بسعيه واختياره، ويذهب عمله سدى بل ضررا إذا باء بغبنه وخياره.

ألم يكن عندكم وفي بلادكم من مدارس الحكومة ما يحصل به المقصود، وفيها الأساتذة المعروفون بالعلم والدين وبذل المجهود.

ألم تبذل الحكومة لراحة الجميع خير مجهود، ألم تروا من آثار أعمالهم ومنفعة المتعلمين ما هو محسوس ومشهود. ففيم الرغبة بعد هذا في مدارس الأجانب التي نفعها الدنيوي طفيف بالنسبة إلى ما فيها من الأضرار، وعاقبة المتخرجين منها في الغالب الهلاك والبوار.

كل تعليم لا يقوم على الدين فهو ساقط منها، وكل سعي لا يصلح الأخلاق فهو سفه وخسارة، إذا ذهب الدين فبأي شيء تفرح.

وإذا خسرت الأخلاق الفاضلة فبأي سلعة تربح، وإذا اضمحلت الآداب فمتى تفلح وتنجح.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ ءَايَاتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الجاثية: ٧ ـ ٨]» أ. هـ.

ففيها البيان والنصح للمسلمين، وفيها التحذير من هذا الخطر على الدين، ومدح الحكومة السعودية بما هيئته من المدارس المغنية عن المدارس الأجنبية وأهدافها وغاياتها، وفي هذه الخطبة يظهر تمثل حديث تميم بن أوس الداري مرفوعًا: «**الدين النصيحة» ـ ثلاثا ـ قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

---

(١) رواه مسلم(٣١١).



المبحث السادس
أنموذج في رد الشيخ ابن سعدي على المعتزلة والمتكلمين

وهذا مع كثير في تأليفه ﵀، ولكن ثمَّة أنموذج يظهر معالم:

١ . الغيرة على العقيدة الصحيحة.

٢ . والعمق العلمي والفهم الجلي.

٣ . والنظر في مآلات أقوال المنحرفين، وتشابهها.

٤ . وعدم المؤاخذة باللوازم غير الصريحة.

ففي مسألة كلام لله ﷻ عند المتكلمين الأشاعرة ثم الاقترانية السالمين، وبيان ارتباط قولهم بقول الجهمية المعتزلة، ولما تعرض الشيخ ابن سعدي لقول الأشاعرة في مسألة كلام الله، وأن قولهم يرجع عند التحقيق إلى قول المعتزلة، في أن الذي معنا من كلام الله عز وجل ليس عين كلام الله، بل هو عبارة عنه، وأنه لا فرق بينه وبين قول المعتزلة قال ابن سعدي ﵀: «وهذا القول كما قال من اعترف منهم أنه لا فرق بينه وبين قول المعتزلة إلا في اللفظ».

والمقصود أن هذا القول ظاهر البطلان من أوجه متعددة قال ﵀ : «وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول وبين بطلانه في رسالته التسعينية فبين من تسعين وجهًا كل واحد منها يدل على بطلانه أدلة نقلية وأدلة عقلية».

وهذا يدل على فهم عميق لقولهم وخبرٌ بين به، وبمآلاته ونتائجه، وهذا لا يدركه إلا المحققون المنصفون، والغيورون الذابّون عن دين الله وعقيدة الإسلام بحق لا بباطل، وبعلم لا بجهل، وإنصاف لا بهوى!

كما ناقش الشيخ ابن سعدي قول السالمية الاقترانية: هم القائلون بأن كلام الله حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

وأما عن سبب تسميتهم بذلك يقول ابن سعدي ﵀: «لما قيل لهم هذا مخالف للمحسوس المعلوم بالبديهة أن حروف الكلام طبعًا لا بد أن يسبق بعضها بعضًا، قالوا إنما تربيتها بالنسبة إلى سمع الإنسان، وإلا فهي ما زالت متصاحبة مقترنة».





وقال في رده عليهم: «ولا شك أن هذا القول إلى التخليط والهذيان أقرب منه إلى التحقيق والبرهان»[1].

أما مجموع ردوده ومنهجيته في كشف شبهات الروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة، وأهل الأهواء فهي من الكثرة بمكان ومن التنوع في تأليفه، ويخرجنا عن المقصود في إبراز منهجيته ﵀ في عرض النموذج الواحد الذي يغني عن غيره[2].

وفي مجلد العقيدة ضمن مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي كلام كثير جدًا على هذا المعنى، يطول المقام بتعداده، وحسبي الإشارة إليه[3].

---

(١) أنظر: توضيح الكافية الشافية، ص ٥٣ وما بعدها.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة، للدكتور عبد الرازق العباد.

(٣) أنظر: المجلد السادس والمجلدات (٢٣و٢٤و٢٥) من مجموع مؤلفات الشيخ العلامة ابن سعدي.



المبحث السابع
في رفق الشيخ ابن عدي بالمخالف له من أهل العلم

ومن النماذج النيرة في أدب الشيخ ابن سعدي مع المخالف له من أهل العلم وحسن ظنه بهم، وسعة صدره عليهم، وكذا بُعده عن حظ نفسه، وتجرده عن غوائلها، وكذا تعاليه عن الدنيا وتجافيه عن المهاترات التي تخرج المقصود من طلب الحق وبيانه، إلى أمور جانبيه لا علاقة لها بالعلم والحق والسنة والبدعة...

هذا والنموذج التالي هو في مراسلات من الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز السويح(١٣٠٢ - ١٣٦٩هـ)[1] **فيها شدة** الشيخ ابن سعدي، جاء بها تنويه في مراسلات شيخنا ابن عقيل مع شيخه ابن سعدي: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ضمن رسالة له لتلميذه عبد الله بن عقيل[2]: «... من مدة كم شهر وصلني كتاب عبد العزيز السويح، ينكر فيه ما ذكرته في باب حكم المرتد، وتفصيلنا في أهل البدع ذلك التفصيل.

وإنكاره في شدة عظيمة!

فرددت عليه بلطف، وأحلته بهذا التفصيل على كلام الشيخ وابن القيم.

ولم أناقشه في شدته، ولا حاسبته على ألفاظه غير اللائقة، لأني ظهر لي أن البحث والتمادي معه ماله ثمرة ولا نتيجة.

ثم جاءني كتاب أشد من الأول، ويزعم أن هذا التفصيل مخالف لمذهب الأمة، وأنه باطل متناقض، وأننا أتينا بمنكرات وطامات... إلى آخر ما ذكر.

كلام يعجب الإنسان كيف يصدر ممن ينتسب إلى العلم من دون أن يعرف ما عند صاحبه! ومن دون أن يقابله!

لهذا ما أحببت أتمادى معه في البحث الطويل.

فتجد جوابَ خطِّه الأخير طيّ كتابك، تُشرف عليه، وترسله للمذكور.

لأن الظاهر أنه ــ إن شاء الله ــ مهوب كله هوى، لأني ما أعرفه ولا يعرفني، ولا جرى بيني وبينه قبل هذا أدنى مكاتبة، وإنما حمله على ذلك أنه انعقد في فكره هذا (كلمة غير واضحة) الذي يراه في

---

(١) وهو ممن ردوا على عبد الله بن علي القصيمي الصعيدي في مجلدين سماه "بيان الهدي من الضلال في الرد على صاحب الأغلال"، وقد ترجمة الشيخ البسام في "علماء نجد" (١/٣٣٤-٣٣٩).

(٢) الأجوبة النافعة ص١١٦- ١١٨.





تكفير جميع الجهمية والمعتزلة من غير فرق بين المعاند وغيره، ولم يعرف كيف الطريق إلى إنكار ما اعتقد منكرا، فجاء بهذه الطريقة التي ليس لها مقدمة، ولا جرى من صاحبه عناد يوجب له ما أوجب.

نرجو الله أن يوفق الجميع لكل خير).

وهذا كثير نوعه في حال الشيخ ابن سعدي مع أهل العلم وطلابه ممن قصر فهمهم أو بعدت به النجعة عن المقصود، وغلبتهم العاطفة، فحجبتهم عن المرام، ثم غلبهم حظ النفس عن حق الإسلام فذهب بهم مذاهب بعيدة عن الإنصاف والتحقيق.

ومن أعظم المحرمات وأشنع المفاسد إشاعة عثراتهم والقدح فيهم في غلطاتهم، وأقبح من هذا وأقبح إهدار محاسنهم عند وجود شيء من ذلك، وربما يكون – وهو الواقع كثيرًا – أن الغلطات التي صدرت منهم لهم فيها تأويل سائغ ولهم اجتهادهم فيه، معذورون والقادح فيهم غير معذور؛ وبهذا وأشباهه يظهر لك الفرق بين أهل العلم الناصحين والمنتسبين للعلم من أهل البغي والحسد والمعتدين، فإن أهل العلم الحقيقي قصدهم التعاون على البر والتقوى، والسعي في إعانة بعضهم بعضًا في كل ما عاد إلى هذا الأمر، وستر عورات المسلمين وعدم إشاعة غلطاتهم والحرص على تنبيههم بكل ممكن من الوسائل النافعة، والذب عن أعراض أهل العلم والدين، و لا ريب أن هذا من أفضل القُرُبات، ثم لو فرض أن ما أخطأوا أو عثروا ليس لهم تأويل و لا عذر، لم يكن من الحق والإنصاف أن تُهدر المحاسن وتُمحى حقوقهم الواجبة بهذا الشيء اليسير، كما هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضرره كبير وفساده مستطير، أي عالم لم يخطئ وأي حكيم لم يعثر؟

يعجبني ما وقع لبعض أهل العلم وهو انه كتب له إنسان من أهل العلم والدين ينتقده انتقادًا حارًا في بعض المسائل، ويزعم أنه مخطئ فيها حتى إنه قدح في قصده ونيته، وادعى انه يدين الله ببغضه بناءً على توهم من خطئه، فأجاب المكتوب له:

يا أخي إنك إذا تركت ما يجب عليك من المودة الدينية، وسلكت ما يحرم عليك من اتهام أخيك بالقصد السيء على فرض أنه أخطأ، وتجنبت الدعوة إلى الله بالحكمة في مثل هذه الأمور، فإني أخبرك قبل الشروع في جوابي لك عما انتقدتني عليه: بأني لا أترك ما يجب عليَّ من الإقامة على مودتك، والاستمرار على محبتك المبنية على ما أعرفه من دينك انتصارًا لنفسي، بل أزيد على ذلك بإقامة العذر لك في قدحك في أخيك، بأن الدافع لك على ذلك قصدٌ حسن، لكن لم يصحبه علم يصححه، و لا معرفة تبين مرتبته، و لا ورع صحيح يوقف العبد عند حده الذي أوجبه الشارع عليه . فلحسن قصدك عفوتُ لك عما كان منك لي من الاتهام بالقصد السيء، فهب أن الصواب معك يقينًا، فهل خطأ الإنسان عنوانٌ على سوء قصده، فلو كان الأمر كذلك، لوجب رمي جميع علماء الأمة بالقصود السيئة، فهل سلم أحد من الخطأ؟! وهل هذا الذي تجرأت عليه إلا مخالف لما أجمع عليه المسلمون من أنه لا يحل

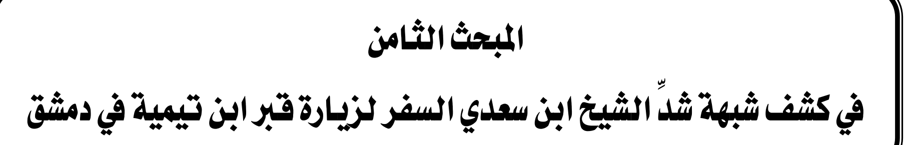


رمي المسلم بالقصد السيء إذا أخطأ، والله تعالى قد عفا عن خطأ المؤمنين في الأقوال والأفعال، وجميع الأحوال، ثم نقول: هب أنه جاز للإنسان القدح في إرادة من دلت القرائن والعلامات على قصده السيء، أفيحل القدحُ فيمن عندك من الأدلة الكثيرة على حسن قصده، وبعده عن إرادة السوء ما لا يسوغ لك أن تتوهم فيه شيئا بما رميته به، وإن الله أمر المؤمنين أن يظنوا بإخوانهم خيرًا إذا قيل فيهم خلافُ ما يقتضيه الإيمان، فقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور: ١٢].

واعلم أن هذه المقدمة ليس الغرض منها مقابلتك بما قلت، فإني كما أشرت لك: قد عفوت عن حقي إن كان لي حق، ولكن الغرض النصيحة، وبيان موقع هذا الاتهام من العقل والدين والمروءة الإنسانية.(١)

(١) أنظر: الفتاوى: ٤٧





المبحث الثامن
في كشف شبهة شدِّ الشيخ ابن سعدي السفر لزيارة قبر ابن تيمية في دمشق

وسبب هذه الشبهة والتشويش أن نقل بعضهم أن الشيخ ابن سعدي رحمه الله لما كان في بيروت للعلاج سنة(١٣٧٣هـ) أنه زار قبر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في الباب الصغير بدمشق، قالوا: وهذا شدُّ رحل وسفر، فيخالف المشهور عن أهل السنة، وعن شيخ الإسلام وابن القيم وعلماء الدعوة من تحريم السفر لزيارة القبور؛ أخذًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى" **متفق عليه**[1].

وهذا مشكل عندنا لما نعرفه عن أصل أهل السنة، وعن تقريراتهم حول هذه المسألة، ومن ذلك تقريرات الشيخ ابن سعدي على كتاب التوحيد، ولاسيما باب: ما جاء فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح... وباب ما جاء في قبور الصالحين[2].

هذا وقد زرت العم الوجيه محمد بن الشيخ عبد الرحمن السعدي بالدمام، حيث كان مرافقًا لوالده في رحلته العلاجية إلى بيروت لبنان، والتي استمرت نحوًا من شهر، وسكن في منطقة عالية.

وذكر لي أن الشيخ زار دمشق رحمه الله لما تأخر عودتهم إلى عنيزة؛ بسبب ازدحام الطائرات لنقل الحجاج رحمه الله وزيارته لدمشق لزيارة بعض جماعتنا القاطنين دمشق، وزيارة الشيخ الداعومة رئيس إحدى الجمعيات الخيرية، وأن الشيخ وهو يتجول في بعض المعالم في دمشق القديمة، قيل له أثناء مروره إن قبر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم قريب من هنا، وعلى بعد خطوات، فعرَّج عليه الشيخ ابن سعدي، ووقف على قبر شيخ الإسلام، وسلَّم عليه، ودعا له، وعلى تلميذه ابن القيم.

فكانت عرضًا لا قصدًا بالسفر من بيروت لزيارة القبر! هذا ما حدثني به العم محمد بن الشيخ ابن سعدي، وهو يبطل هذه الشبهة، وهذا التشويش الذي يدندن عليه بعض خصوم الشيخ بلا تثبت! وبلا إنصاف وتحري!

ونذكره ها هنا لعلاقته الوثيقة في نصرة الشيخ ابن سعدي، وفي الذبِّ عنه، وفي تحقيق منهجيته في التحري والإنصاف والعدل مع المخالف، وبالله التوفيق.

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)

(٢) ينظر القول السديد شرح كتاب التوحيد (٦٧١/٦) ضمن مجموع مؤلفات الشيخ.



الخاتمة

ثم بعد هذا التطواف في ثنايا هذه المباحث، خلصت إلى أن الشيخ العلامة عبد الرحمن ابن سعدي، يعتبر في هذا الزمان المعاصر أنموذجًا لعلماء الإسلام، وعلماء أهل السنة والجماعة، كما دلَّ بسلوكه وحياته، ومنهجه وغيرته على المخالفين، وهو على كل حالٍ بشر من الناس، لا ندعي له العصمة ولا لغيره، إلا النبي ﷺ.

ثم إن الشيخ ابن سعدي هو امتداد علمي موثوق لمنهج السلف الصالح في القرون الفاضلة، وهو على طريق علماء الإسلام ومحققيه لا يخرج عن طريقهم، ولا سيما مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وامتدادها في علماء الدعوة الإصلاحية التي جدّدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحم الله الجميع.

وكذا ظهرت آثار العقيدة والإيمان على الشيخ ابن سعدي في غيرته الدينية، وفي منهجيته العلمية، وفي دلِّه وسماحته، ولين جانبه، وتغاضيه عن حظِّ نفسه، وعفوه عن مخالفيه... على أن هذا الجانب وغيره يحتاج مزيد عناية، وتتبُّع له، وتحليل واسع عميق من أهل العلم، وما هذا البحث اليسير إلا إشاراتٌ في هذا الباب، وبالله التوفيق.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



فهرس المصادر

ــ القرآن الكريم.

ــ الإباضية عقدية ومذهباً= د. جابر طعيمة، دار الجيل ط١٤٠٦هـ.

ــ الإبانة عن أصول الديانة= لأبي الحسن الأشعري، الجامعة الإسلامية ط١٤٠٥هـ.

ــ آراء الخوارج الكلامية= د. عمار طالبي، الشركة الوطنية ـ الجزائر ط١٣٩٨هـ.

ــ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد= أبو المعالي الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية ط١٤٠٥هـ.

ــ الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة "الموضوعات الكبرى"= الملا علي قارئ، تحقيق محمد لطف الصباغ، المكتب الإسلامي ط١٤٠٦هـ

ــ الإصابة في تمييز الصحابة= ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية ط١٤٠٠هـ

ــ أصول الدين= عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية ط١٤٠٠هـ

ــ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين= فخر الدين الرازي، تعليق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي ط ١٤٠٧هـ

ــ الأعلام= خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط١٤٠٠هـ

ــ أهل السنة والجماعة معالم الانطلاق الكبرى= محمد عبد الهادي المصري. ط دار طيبة ١٤٠٨هـ

ــ الإيمان = لشيخ الإسلام ابن تيمية، تلخيص حسن الغزالي، دار إحياء العلوم ط١٤٠٦هـ.

ــ الإيمان أركانه حقيقته نواقضه= محمد نعيم آل ياسين، دار الفالح ط١٤٠٧هـ.

ــ الإيمان= لأبي عمر العدني، تحقيق ودراسة حمد الحربي، الدار السلفية ط١٤٠٧هـ.

ــ الإيمان= لأبي عبيد القاسم بن سلام، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي ط١٤٠٣هـ.

ــ الإيمان= لابن أبي شيبة، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي " ١٤٠٣هـ.

ــ الإيمان= لمحمد بن منده، تحقيق ودراسة علي ناصر فقيهي، مؤسسة الرسالة ط١٤٠٦هـ.

ــ البداية والنهاية= الحافظ ابن كثير، مراجعة مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية.

ــ البدع والنهي عنها= لابن وضاح القرطبي، دار الأمة العربي ط١٤٠٢هـ.

ــ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان = للمتقي الهندي، رسالة علمية قدمها جاسم مهلهل آل ياسين، مطبوعة بالآلة الكاتبة عام

ــ تاريخ التراث العربي= فؤاد سزكين، طبعة جامعة الإمام ١٤٠٣هـ.

ــ تاريخ المذاهب الإسلامية= محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.





ـــ تعظيم قدر الصلاة= لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة ١٤٠٦هـ.

ـــ تغليق التعليق على صحيح البخاري= الحافظ ابن حجر، تحقيق ودراسة سعيد القزمي، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

ـــ تقريب التقريب= الحافظ ابن حجر، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة ١٣٩٥هـ.

ـــ التمهيد= لابن عبد البر، تحقيق عبد الله بن الصديق، طبع الحكومة المغربية عام ١٣٩٩هـ.

ـــ تمهيد الأوائل وتلخيص الرسائل= لأبي بكر الباقلاني، تحقيق عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.

ـــ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع= لأبي الحسن الملطي، تعليق محمد زاهد الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٦٨هـ.

ـــ تهذيب التهذيب= لابن حجر، تصوير دار صادر.

ـــتهذيب الآثار= للطبري، تخريج محمد شاكر، نشر جامعة الإمام طبع المدني.

ـــ التوحيد= لأبي منصور الماتريدي، تحقيق فتح الله خليف، نشر دار الجامعات المصرية.

ـــ التوحيد= لابن خزيمة، تحقيق ودراسة عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد ١٤٠٨هـ.

ـــ تفسير العزيز الحميد= سليمان بن عبد الله بن محمد، المكتب الإسلامي ١٣٩٧هـ.

ـــ الخوارج دراسة لنقد منهجم= ناصر السعوي رسالة علمية، مطبوعة الآلة الكاتبة عام ١٤٠٣هـ.

ـــ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة= أحمد بن جلي، مؤسسة الملك فيصل الخيرية عام ١٤٠٨هـ.

ـــ ذم التأويل= لابن قدامة المقدسي، تحيق بدر البدر، الدار السلفية ١٤٠٦هـ.

ـــ ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تصوير دار الكتب العلمية-بيروت.

ـــ ذيل طبقات الحنابلة-ملاح عقدية، د. علي الشبل، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ضمن مجلة جامعة الإمام العدد ١٥.

ـــ السنة= لابن أبي عاصم، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

ـــ السنة= عبد الله بن أحمد، دراسة وتحقيق محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم ١٤٠٦هـ.

ـــ السنن= لأبي داود سليمان بن أشعث، تحقيق محمد محي الدني عبد الحميد، المكتبة العصرية.

ـــ سنن الترمذي= تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

ـــ سنن ابن ماجه= ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى البابي وأركانه.





ــ الشريعة= لأبي بكر الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٦٩هـ.

ــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة= لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق أحمد الحمدان، دار طيبة.

ــ شرح الأصول الخمسة= للقاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ.

ــ شرح السنة= لأبي محمد البربهاري، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم ١٤٠٨هـ.

ــ شرح السنة= للبغوي، تحقيق الأرنؤوط والشاويش، المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

ــ شرح العقيدة الطحاوية= ابن أبي العز الحنفي، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ.

ــ شرح الفقه الأكبر= الملا علي قارئ، دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ.

ــ شرح قصيدة ابن القيم= إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي ١٣٨٢هـ.

ــ الصحاح= للجوهري، دار العلم للملايين ١٣٩٩هـ.

ــ صحيح البخاري= ترتيب وفهرسه مصطفي ديب البغا، دار التراث المدينة ١٤٠٧هـ.

ــ صحيح سنن ابن ماجه= الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ.

ــ صحيح مسلم= ترتيب وفهرسه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ١٩٧٢م.

ــ ضحى الإسلام= أحمد أمين، دار الكتاب العربي ط١٠.

ــ ضعيف سنن ابن ماجه= الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ.

ــ الطبقات الكبرى= لابن سعد، دار بيروت ١٣٩٨هـ.

ــ عقيدة السلف أصحاب الحديث= لأبي إسماعيل الصابوني، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية ١٤٠٤هـ

ــ عقيدة المسلمين والرد على الملحدين= الشيخ صالح البليهي، المطابع الأهلية ١٤٠١هـ.

ــ العواصم من القواصم= لأبي بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية ١٤٠٥هـ.

ــ العين في الأثر في عقائد أهل الأثر= عبد الباقي البعلي الحنبلي، رسالة علمية قدمها راشد الطيار، مطبوعة على الآلة.

ــ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد= عبد الرحمن بن حسن، دار الفكر.

ــ الفرق بين الفرق= البغدادي، درا الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.

ــ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة= الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ.

ــ فهارس صحيح وضعيف سنن ابن ماجه= صنع الشاويش، المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ.

ــ فيض القدير= للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ.

ــ القاموس المحيط= للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ.

ــ قواعد المنهج السلفي= مصطفى حلمي، دار الأمصار ١٩٧٦م.

ــ لوامع الأنوار البهية= السفاريني، طبعة آل ثاني وقف في مطابع الأصفهان ١٣٨٠هـ.





ـــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد= للهيثمي، مؤسسة المعارف ١٤٠٦هـ.

ـــ مجموع الفتاوى= شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة الملك سعود ١٣٨١هـ وما صور عنها.

ـــ مجموع مؤلفات الشيخ العلامه عبد الرحمن بن سعدي ، إشراف ابنه محمد السعدي وآخرين ، نشر دار الميمان ، وتوزيع مؤسسة العنود الخيرية.

ـــ مختار الصحاح= للفخر الرازي، دار الكتاب العربي ١٤٠١هـ.

ـــ مختصر شعب الإيمان= للقزويني، حققه عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير١٤٠٥هـ.

ـــ مسألة الإيمان= علي الشبل، ط٢ ١٤٢٧هـ، دار إيلاف بالكويت.

ـــ معارج القبول بشرح سلم الوصول= حافظ حكمي، دار الكتب العلمية.

ـــ المعتزلة بين القديم والحديث= طارق عبد الحكيم، دار الأرقم بريطانيا ١٤٠٨هـ.

ـــ المعجم الأوسط= للطبراني، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ.

ـــ معجم البلدان= ياقوت الحموي، دار بيروت ١٣٧٦هـ. ودار صادر١٤٠٤هـ.

ـــ المعجم المفهرس= وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية بأستنبول١٩٨٢م.

ـــ معجم المؤلفين= عمر رضا كحاله، المكتبة العربية ١٣٧٦هـ.

ـــ المصباح المنير= الفيومي، طبعة عمر البابي وشركاه.

ـــ الملل والنحل بهامش الفصل= الشهرستاني، مكتبة السلام العالمية.

ـــ مقالات الإسلاميين= لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة ١٣٨٩هـ.

ـــ المنهاج شعب الإيمان= للحكيمي، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

ـــ منهج الأشاعرة في العقيدة= سفر الحوالي، الدار السلفية ١٤٠٧هـ.

ـــ نونية القحطاني= لأبي عبد الله محمد عبد الأندلسي تعليق محمد بن أحمد السعيد، مكتبة السوراي ١٤٠٩هـ.



